رجل الكرامـــات
A man of dignity

فَقُلْتُ خَلُّوا طَريقي لا أبا لَكُــمُ فكلُّ ما قَـدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعولُ
كلُّ ابنِ أُنْثى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يوماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

كعب بن زهير

رجل الكرامات

كان يسمع كثيراً بأن هناك من يصحو بعد موتهِ، فجلس بين أبنائه وخاطبهم قائلاً: لقد تقدم بي العمرُكما ترونَ، فقدْ بلغتُ السبعينَ وها هو جسمي أضمر، وسمعي خَفَّ، وبصري تلاشى، وإنني على مشارفِ الموتِ وحافةِ القبرِ، فإذا مِتُ فاتركوني يوماً أو يومين فربما أصحو أفضل إنْ صحوتَ في القبرِ!

كتم الأبناءُ الثلاثةُ ضحكةً كادتْ تنفجرُ من أفواههم جميعاً، فقالوا معاً: لا عليك يا أبي مِتْ كما تريد فنحنُ لن نتعجل دفنك؛ فضحكَ الأبُ، وقال: أتظنون بأني أمزح معكم، ألم تسمعوا بأنَّ فلاناً ماتَ وصحا عند غُسله، وأنَّ فلاناً مات ودفن وأخرجوه من قبره حياً، وأنَّ فلاناً ماتَ ودفنوه وصحا وماتَ في قبره ...

قالوا: سمعنا ... ولكن يا أبانا أنتَ بخيرٍوبصحةٍ جيدةٍ، وندعو الله جميعاً أن يطيلَ في عمركَ ...

انصرفوا جميعاً، وفكرَ العجوزُ قائلاً: إنَّهَا حِيلة جَيدة سوفَ أتخذها حتى يتبينَ لي مَن يحبني بصدقٍ، ومَن يتمنى موتي ويتعجلني ليرثني، وأراد أن ينامَ فمَدَّ جَسَدَهُ مَدّاً وأخذه التفكيرُ كيفَ يكونُ ميتاً؟ وأخذ يشد جسمه شداً ويلف ساقاً بساقٍ، ويُشخصُ بصره نحوَ السَّماءِ، ويكتم أنفاسَهُ ... فيجد كتمَ أنفاسهِ صَعباً، ولكن لابد من التدريب ... بدأ يجربُ ويجربُ .. حتى خُيل إليه بأنَّهُ مَاتَ حَقاً، فَانتَفَضَ وَاقفاً مَذعُوراً وَكَأنَّمَا مَسَّهُ مَلِكُ الموتِ، لقد دارتْ به أركانُ الحجرةِ، خَفَّ جِسْمُهُ، وَعُدِمَ وَزْنُهُ، خُيل إليه بأنه داخل نعشٍ مقفولٍ يتحركُ الناسُ بهِ يميناً ويساراً متجهاً به إلى بابِ القبرِ.

جاءَ الأولادُ الثلاثةُ فوجَدوهُ شَاحبَ الوجهِ، شَاردَ الذهنِ، لا يأكلُ

ولا يشربُ، ملامحَهُ قَدْ تغيرتْ؛ فَسُرَولدان وبكى الثالث، قالوا :

- يا أبانا إنا لنراكَ ساهمَ الطرفِ شَاردَ الفكرِ لا تأكلَ ولا تشربَ، فماذا حَلَّ بِكَ ؟!

- لا عليكم فإنني بخيرٍ والحمدُ للهِ.....

كانَ العجوزُ يفكرُ في أموالهِ وثروتهِ لمَنْ يعطيها، وتساءَلَ : هل أتركها ليتقاسمها أبنائي، رغم اختلاف برهم بي .... هذا يضحك عليّ، وهذا يسايرني غيرراضٍ، وهذا أراه حزيناً باكياً ويسمع قولي ....

جاءَ اليومُ الموعودُ في تمامِ السَّاعةِ العاشرة صَباحاً مات الأب باتفاق بينه وبين طبيب القرية الوحيد الذي زاره وهو مريض، فأبصره الأبناء، وقالوا لقد ماتَ أبونا ...

- قال أكبرهم : علينا أن نتعجل بغسله وتكفينه ونصلي عليه في مسجد المقابر....

- قال الأصغر: علينا أن نتعجل ...

- أما الثالث فقال : لا عليكما، أنسيتم وصية أبيكم، بألا نتعجل بدفنه، فلربما يصحو ..... نظر الكبير والأصغر لبعضهما، وكأنما وجدا جداراً يفصلُ بينهما وبين حلمهما .

- قال أحدهما : سوف نتحقق من ذلك، ونرسل للطبيب، فحص أباهم وسحب الغطاء على وجهه ونظر إليهم قائلاً : البقية في حياتكم ...

انتحب الأولاد جميعاً، وكأنَّمَا نزلتْ بهم صاعقةٌ .

قال الأوسط : علينا أن ننتظر العصر.

قال كبيرهم : سوف تعفن الجثة، لقد ماتَ أبوكم الظهر.

قال أصغرهم : العصر... بعيد، سأذهب لاحضار المُغسل، وأزيع في أهل القرية بأن أبانا توفاه الله، والعزاء ليلاً ...

قال الأوسط : يا أخي ... أنسيتَ وصيةَ أبيك .
قال الأكبر: أي وصيةٍ ... الكبارُ لا يُؤخَذُ لهم على كَلامٍ .
قال الأصغر: الطبيب ألمْ يقل إنَّهُ ماتَ ... !!

رضخا للأصغر .. فأحضرَ المُغسلَ .. وجرّدَ الأبَ من ثيابه، وقام بغُسله، وعندما أراد أن يشد الكفَنَ على رأسهِ، تبين له ما كان يفكر فيه كُلُ واحدٍ من الأبناءِ، قال : لا تغطي وجهي ...!!
ارتعب المُغسلُ وكاد أن يُغشى عليه وفرَّ هارباً، قابلوه عند الباب متسائلين : ما بكَ ... ؟!
قال : إنَّ أباكم صحا من موته ..!!
نظر الأولاد الثلاثة إلى بعضهم البعض، وهم في وَجلٍ ...
فقال الأوسط : ألم أقل لكما ربما ...
لمعت عينا الكبير بعيني الصغير وأحاطتْ بهما الظنون، وقالا : هل من المعقول أن يصحو الميت بعد موتهِ ؟ وكيف أخبرنا أبونا بأنّهُ ربما يصحو بعد موتهِ ؟!
صار الأولاد في حيرة من أمرهم، أبوهم يضحكُ عليهم ... يخادعهم ... ولكنهم نفوا ذلك بقولهم :
- إنَّ الطبيبَ لا يكذب !

دخل الأولاد مهللين ومكبرين على أبيهم ... فعجَّلهم بقوله : ماذا بكم ؟ وماذا تصنعون بي ؟!
نظروا لبعضهم البعض قائلين : لم نصنع بك شيئاً يا أبانا، ما نراك إلا بخيرٍ... سلخوهُ من كفنهِ وألبسوهُ ملابسه، وجلس معهم يأكلُ ويشربُ ... !
شاع في القريةِ والقرى المجاورة بأنّ فلاناً ماتَ بالأمسِ وصحا ... فأقبل الناسُ مهنئين مغتبطين يباركون عودة أبيهم إلى الحياة الدنيا،

منهم من يحمل الورود، ومنهم من يحمل الهدايا، ومنهم من يقول بأنّهُ رجلٌ مبروكٌ، ومنهم من يقول بأنّ لَهُ خصوصية عندَ رَبِهِ ..

أخذَ الناسُ يتقربون إليه ويتمسحون ويتبركون به، ويأتون أفواجاً، يتساءلون معه : كيف وجدتَ الآخرةَ ؟ هل كنتَ تعلمُ عن الأحياءِ شيئاً ؟ هل كنتَ تحسُ بنا وتسمعنا ؟!

اشتهرَ العجوزُ بالكراماتِ .. فتقربَ إليه كُلُ صَغيرٍ وكَبيرٍ رَجُلًا كانَ أو امرأةً، يلتمس كُلُ رجلٍ أسبابَ السعادةِ والرزقِ من العجوزِ، وتتلمس البناتُ منه الدعاءَ لهن بالزواج، وتلتمس النساءُ بأنْ يهدي أزواجهن، وصار العجوز شيخاً وقوراً مِن أهل الكراماتِ يَحُجُ إليهِ الناسُ مِنْ كُلِ مَكَانٍ .. !!